الإنشاء وطرائق التعبير:

دراسة أكاديمية لطلبة كليات الاقتصاد

يُعَدُّ الإنشاء في جوهره ممارسة لغوية تتجاوز حدود البوح الفردي إلى فضاءٍ معرفي يربط بين الفكر واللغة والسياق الاجتماعي. فليس الإنشاءُ مجرّد تجميعٍ للألفاظ أو محض صياغةٍ للجُمل، بل هو بناءٌ منهجيّ يستوعب المعنى الاقتصادي ويعيد تشكيله في قوالب لغوية تعبّر عن العقل العلمي والذوق البلاغي في آنٍ واحد. وتزداد أهمية هذا الجانب لدى طلبة كليات الاقتصاد، إذ إنّ القدرة على التعبير الدقيق والإنشاء السليم تُمثِّل شرطًا أساسًا لتمثّل المعرفة الاقتصادية، وصياغة البحوث والتقارير، وإنتاج الخطاب العلمي الرصين.

(مفهوم الإنشاء في البنية اللغوية والأكاديمية)

إنّ الإنشاء، بالمعنى الاصطلاحي، هو عمليّة توليد للنصوص عبر آليات لغوية وفكرية متشابكة، تتطلّب وعيًا بالقواعد النحوية والبلاغية، كما تستند إلى ملكة عقلية تمكّن من ترجمة المعطيات الفكرية إلى نصٍّ مكتوبٍ أو منطوقٍ متماسك (ابن خلدون، المقدمة). ويمتاز الإنشاء الأكاديمي عن غيره بكونه مقيدًا بصرامة المفاهيم، ومنضبطًا بأدوات التحليل والبرهنة، بعيدًا عن العفوية والانفعال اللغوي.

ومن الناحية النظرية، يمكن استثمار بعض المناهج اللسانية الحديثة في تطوير مفهوم الإنشاء، كالنظرية الوظيفية التي تؤكد أنّ اللغة أداة للتواصل قبل أن تكون نسقًا شكليًا، والتداولية التي تدرس علاقة الكلام بسياقاته الاجتماعية، والأسلوبية التي تعنى بكشف البعد الجمالي في النصوص. هذه المناهج الثلاثة تسعف طالب الاقتصاد في صوغ خطاب علمي واضح، لا ينفصل عن محيطه الاجتماعي والاقتصادي.

(طرائق التعبير وأبعادها المعرفية)

تتنوّع طرائق التعبير بحسب الغاية والمقام، ويمكن حصرها في المستويات الآتية:

١. **التعبير التقريري**: وهو الذي يُعنى بنقل المعلومات والبيانات الاقتصادية بلغة واضحة، غايتها الإفهام المباشر. ويُستعمل في إعداد التقارير، وكتابة البحوث الإحصائية، وتحرير المراسلات الرسمية.

٢. **التعبير التحليلي**: يتجاوز حدود العرض إلى التفكيك والتركيب، حيث يُعاد بناء الظواهر الاقتصادية ضمن منطق سببيّ يستند إلى الاستدلالات الكمية والنوعية. إنّ الطالب الاقتصادي لا يكفيه أن يذكر الظاهرة (التضخم مثلًا)، بل عليه أن يُنشئ نصًّا يربط بين أسبابها البنيوية ونتائجها الاجتماعية.

٣. **التعبير الحجاجي**: وهو أرقى أشكال الإنشاء العلمي، إذ ينهض على بنية استدلالية يقصد منها الإقناع والتأثير. وتكمن أهميته في مناقشة السياسات الاقتصادية، أو نقد النظريات، أو عرض البدائل الإصلاحية. وهنا يلتقي الاقتصاد بالبلاغة، حيث يُصبح النص مجالًا لتدافع الحجج والبراهين.

٤. **التعبير الإبداعي-التطبيقي**: ويظهر في قدرة الطالب على صوغ الأفكار بلغةٍ مرنة، تجمع بين الجمالية والوظيفية، بحيث لا يقتصر على جفاف الأرقام، بل يحوّلها إلى خطابٍ مُفعمٍ بالحياة، يربط النظرية بالواقع.

(الإنشاء الاقتصادي بين الدقّة والبلاغة)

يواجه طلبة الاقتصاد معضلة مزدوجة: فمن جهة، يُطالَبون بالصرامة العلمية والدقة الاصطلاحية، ومن جهة أخرى، يُستحسن أن يطوّروا ملكة الأسلوب وبلاغة البيان. فاللغة الاقتصادية ليست لغةً جامدة، بل هي كيان رمزيّ يعبّر عن حركية السوق وتقلّباته. ومن ثمّ، فإنّ الجمع بين الدقة الرياضية في العرض والثراء البلاغي في التعبير يُنتج خطابًا اقتصاديًا متوازنًا، قادرًا على التأثير في المتلقّي وصانع القرار.

أولًا: أهمية الإنشاء في الاقتصاد

تبرز أهمية الإنشاء في المجالات التطبيقية المتعددة، مثل:

- صياغة العقود الاقتصادية بصياغات دقيقة تضمن الحقوق والالتزامات.
- إعداد الموازنات العامة والتقارير المالية بلغةٍ مفهومة لغير المتخصصين.
- كتابة دراسات الجدوى الاقتصادية بأسلوب يجمع بين الإقناع العلمي والوضوح البياني.
- عرض النظريات الاقتصادية في إطار أكاديمي يجمع بين التحليل والتبسيط.

ثانيًا: معوّقات الإنشاء لدى طلبة الاقتصاد

- ضعف الملكة اللغوية نتيجة التركيز المفرط على الجانب الكمي والإحصائي.
- هيمنة الأسلوب التقريري الجامد على حساب التعبير التحليلي والحجاجي.
- الخلط بين اللغة العلمية الرصينة واللغة الإعلامية الموجزة أو الدعائية.

ثالثًا: آليات تنمية القدرة الإنشائية

- إدخال مقرّرات خاصة بعنوان "مهارات التعبير الاقتصادي" أو "كتابة التقارير الأكاديمية".
- تدريب الطلبة على كتابة مقالات قصيرة وتقارير بحثية دورية.
- تشجيعهم على استخدام البلاغة العلمية في صياغة النصوص، عبر الجمع بين الدقة والوضوح.
- عقد ورش عمل تطبيقية تُمارَس فيها المحاكاة الواقعية لإعداد وثائق اقتصادية.

رابعًا: مقارنة مع الإنشاء في التخصّصات الأخرى

يختلف الإنشاء الاقتصادي عن نظيره في العلوم القانونية مثلًا؛ فالأول يوازن بين الدقة الكمية والبعد الاجتماعي، في حين يركّز الثاني على النصوص التشريعية والاصطلاحات القانونية. كما يختلف عن الإنشاء الطبي الذي يقتصر غالبًا على لغة وصفية تقنية. هذا التمايز يمنح اللغة الاقتصادية فرادتها ويُبرز حاجتها إلى خطابٍ علمي يجمع بين الأرقام والأبعاد الإنسانية.

الخاتمة

إنّ الإنشاء وطرائق التعبير ليسا مجرّد مهارات لغوية هامشية، بل هما جوهر العملية الأكاديمية في حقول الاقتصاد والإدارة وسائر العلوم الاجتماعية. فالطالب الذي يُتقن أساليب التعبير يتمكّن من إحكام فكره، وضبط مفاهيمه، وإقناع محاوريه. ومن هنا، فإنّ تدريس الإنشاء في كليات الاقتصاد ينبغي أن يُبنى على منهج مزدوج: صرامة علمية في المضمون، ومرونة بلاغية في العرض.